رؤية في نظام التربية والتعليم وأهدافه في [الكيان الإسرائيلي] قبل عام ١٩٤٨م وبعده

هنادي يوسف غوانمة
المدرسة بقسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة اليرموك اربد-الأردن

المقدمة :

تعود فكرة قيام (الكيان الإسرائيلي) على الأرض العربية الفلسطينية إلى الحركة الصهيونية، التي ظهرت في القرن التاسع عشر الميلادي.فقد طالب المؤتمرون في بال سنة ١٨٩٧م عودة يهود العالم إلى فلسطين، وإقامة وطن قومي لهم فيها.وقد استندت الحركة في دعوتها هذه إلى اعتبارات دينية توراتية وتاريخية. ولم يأت منتصف القرن العشرين إلا وقد تمكنت الحركة الصهيونية من إقامة (الكيان الإسرائيلي) معتمدة في ذلك على التسهيلات التي قدمتها بريطانيا لليهود ودخولهم إلى فلسطين. وكان لزاما على الحركة الصهيونية تعليم المهاجرين اليهود، فعملت المؤسسات والحركات الكشفية ومنظمات الشبيبة، والجمعيات الدينية على تعليم اليهود اللغة العبرية، والتعاليم الدينية التوارتية.وقد لعب الجيش الإسرائيلي دورا فعالا في عملية التعليم هذه، التي قامت على كيفية التمسك بالأرض والدفاع عنها،من خلال نظام تعليمي صارم ينمي ويقوي في الشباب اليهودي القيم التوراتية والدفاع عن الدولة. هذا بالإضافة إلى القوانين التربوية في (الكيان الإسرائيلي). وقد استطاع هذا الكيان أن ينشئ وزارة للتعليم العالي فيما بعد، والتي كان من أولوياتها الأشراف على التعليم العالي والجامعات ومراكز البحوث العلمية، تلك المراكز والجامعات التي كان لها دورها في تقديم الأبحاث العلمية التي أدت إلى تقدم (إسرائيل) وتطورها علميا وتكنولوجيا وصناعيا.

تعليم اليهود قبل قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م

أخذت الحركة الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر تدعو إلى جمع يهود العالم في فلسطين، مستندة في ذلك إلى ادعاءات تاريخية ودينية،وعملت هذه الحركة على تشجيع الهجرة،وفي نفس الوقت أقامت المدارس في أنحاء متفرقة من العالم في أماكن تواجد الأقليات اليهودية، وكانت مهمة هذه المدارس تدعيم المزاعم الصهيونية التي ترنو إلى إقامة وطن قومي لهم على ارض فلسطين العربية. ومن هذه المدارس والمؤسسات التعليمية ما يلي:

١-المؤسسات التربوية اليهودية خارج فلسطين .

ظهرت هذه المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية وبلغ عددها ثلاث مدارس، بالإضافة إلى جامعة يهودية تدعى جامعة (البشيفا)[١]. وقد ركزت هذه المدارس وتلك المؤسسات التربوية على نشر الفكر الصهيوني وتكريسه بين الشباب اليهودي سواء في الولايات المتحدة أو غيرها.

أما المدارس الأخرى التي أنشئت في أنحاء متفرقة من العالم، فنذكر تلك المدارس التي أقيمت في الأرجنتين،وقد بلغت هذه المدارس ثمان وأربعين مدرسة بين ابتدائية وثانوية. هذا بالإضافة إلى المدارس التي أسست في إيران، فقد أشارت المراجع إلى وجود أعداد كبيرة من الطلاب الذين كانوا يدرسون في مدارس يهودية منتشرة في جميع أنحاء إيران. وكان يشرف على تلك المدارس جمعيات يهودية كجمعية (كنز المعرفة)، وجمعية (أصدقاء إسرائيل)[٢].

وكانت تلك المدارس تعمل على تدريس اللغة العبرية،وبعض المساقات التي تتعلق بالعادات والاحتفالات اليهودية،والمواد التاريخية التوارتية المتعلقة (بإسرائيل).كما عملت المدارس اليهودية على غرس روح التمسك بأرض (إسرائيل) المزعومة، والدفاع عنها، والتضحية من اجلها[٣].

ولا بد من أن نذكر في هذا السياق أن (الحكومة الإسرائيلية) أنشأت سنة ١٩٦٤م مع المنظمة الصهيونية العالمية ،مؤسسة ثقافية أطلقت عليها (الدياسبورا)، وكانت هذه المؤسسة الثقافية تهدف إلى توسيع الأنشطة الثقافية

الإسرائيلية بين يهود العالم.كما كانت تعمل على توثيق الصلات بين الطلبة اليهود في الخارج،بالإضافة إلى تطوير الدراسات العليا لهم في(إسرائيل) [٤]. وقد لعبت دور العبادة اليهودية(الكنيس)دورا هاما في العملية التربوية والتعليمية،فكان رجال الدين اليهود يقومون من خلال المواعظ الدينية على ربط اليهود بأرض المعياد (فلسطين)، ويشجعونهم على الهجرة إلى فلسطين.كما كانوا يقدمون لليهود الكتب والنشرات التي تعمل على تنشيطهم ونشرهم في المجتمعات الشعبية[٥].

وقد وجدت مراكز ثقافية يهودية في بعض الدول في أنحاء مختلفة من العالم،وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية،فبلغ عدد تلك المراكز ثلاثة آلاف مركز[٦]. وكانت هناك علاقة وثيقة بين تلك المراكز والدياسبورا التي تعمل على تعليم الطلاب اليهود القادمين من خارج إسرائيل ،وتعزز العلاقة بين هؤلاء الطلاب داخل إسرائيل وخارجها [٧] .

ويساعد الدياسبورا في صهر الشباب اليهودي القادمين من الخارج،الكيبوتسات التي من أولوياتها نشر الحياة الاشتراكية الجماعية وتعويدهم العيش في تلك الكيبوتسات ،وتكريس القيم الصهيونية والمعتقدات التوارتية بينهم[٨]. أما مهمة الدياسبورا التربوية والثقافية فكانت في المقام الأول تقوم على تعليم الأطفال اليهود من خلال رياض الأطفال، والمدارس الابتدائية والثانوية،ولم تقتصر مهمتها على الصغار فقط، بل هناك برامج تعليمية وضعت للكبار، حيث تقوم هذه المؤسسة على تعليمهم وتدريسهم التوراة والفكر الصهيوني[٩].

وقد اهتم الصهانية بالأرض والارتباط بها، واصبح هذا الأمر هدف التربية في (إسرائيل) .وذلك من منطلق اعتقادهم بان الإنسان الإسرائيلي هو رائد وطلائعي ،حتى أن كلمة الرائد والطلائعية أصبحت اكثر الكلمات ترديدا في قاموس التربية الإسرائيلية. وأصبحت الريادة فيما بعد هي المثل الأعلى في التربية الإسرائيلية،التي تجمع العديد من المعاني التربوية : كالعمل اليدوي،والعودة إلى الأرض والالتصاق بها،من خلال إنشاء القرى الزراعية،والمستوطنات التي ترتبط بالكيان العسكري الإسرائيلي [١٠]. فمهمة التربية الإسرائيلية الصهيونية، خلق جيل

أو أجيال يهودية تتصهر في بوتقة الفكر الصهيوني، الداعي إلى أن فلسطين هي ارض (إسرائيل) ،وان عليهم الدفاع عنها والذود عن حدودها، وغرس العداء للعرب من سكان فلسطين وغيرها.

٢-التعليم اليهودي في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

تعتبر هذه الفترة مكملة للتربية اليهودية التي بدأت في خارج فلسطين،حيث بدأت أوائل الهجرة اليهودية إلى فلسطين سنة ١٨٧٠م.وفي هذه الفترة الواقعة بين سنتي ١٨٧٠ - ١٩٤٨م كان لا بد من تعليم اليهود المتدفقين إلى داخل فلسطين كيف يتشبثون بالأرض،بالإضافة إلى تعليمهم اللغة والثقافة العبرية. أي أن المهمة التعليمية التربوية اليهودية كانت تقع على عاتق الجماعة اليهودية ومؤسساتها التعليمية والثقافية، فلهم حرية التعليم وإنشاء المدارس والمراكز العلمية ووضع المناهج التي تخدم الحركة الصهيونية،والمؤسسة الدينية والعسكرية اليهودية. أما العرب فكان تعليمهم في فلسطين يخضع لفلسفة الانتداب البريطاني الاستعماري المتواطئ مع اليهود والحركة الصهيونية العالمية. فالتعليم في الوسط العربي الفلسطيني كان لفئة من أبناء الشعب لأعدادهم لتسلم المناصب الإدارية الحكومية،وليكونوا أمناء على تنفيذ سياستهم الاستعمارية.وقد عملت السلطات البريطانية على ملئ الوظائف الإدارية في أدارتها بأولئك المتعلمين من أبناء اليهود،ومن أبناء العرب المسيحيين الذين تخرجوا من المدارس الإنجليزية التبشيرية[١١].

وقد عملت سياسة الانتداب البريطاني على تجهيل العرب الفلسطينيين وذلك من خلال تخفيض ميزانية المعارف وعدم قبولها جميع الطلبات التي يتقدم بها طلاب العرب الفلسطينيون وبلغت نسبة أبناء فلسطين الذين يلتحقون بالمدارس الحكومية ٥٧% فقط،ثم تراجعت هذه النسبة إلى ٤٥%، فكان على طلاب العرب الالتحاق بالمدارس الأهلية،وبذلك فان نسبة الأمية إزدادت بين العرب فكان عدد المتعلمين فقط ١٧% بينما كانت نسبة المتعلمين من أبناء اليهود تتراوح من ٨٨% - ٩٣%[١٢]. وقد ظهرت في عهد الانتداب ثلاثة أنواع من المدارس[١٣].

ا - المدارس اليهودية التقليدية.

وتقوم هذه المدارس بتعليم أبناء اليهود مبادئ الدين اليهودي،وتستعمل اللغة اليديشية أو العبرية في تدريسها. وهي تشبه الكتاتيب في المدارس الإسلامية

ب - مدارس الإرساليات اليهودية

تقوم بتعليم اللغة العبرية، ويقوم بالأشراف عليها الجمعيات الخيرية اليهودية مثل الاتحاد اليهودي العام، والاتحاد اليهودي الإنجليزي والألماني والفرنسي.

ج - المدارس الصهيونية

هذه المدارس ظهرت بعد المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م، حيث بلغ عددها ١٢ مدرسة، وهي تعتبر النواة الأولى للتعليم الصهيوني أبان عهد الانتداب ففي فترة الانتداب البريطاني الذي سبق إقامة الدولة، أنشئت البنية التحتية العلمية التي نما فيها العلم الإسرائيلي الحديث فأقيمت الجامعة العبرية في القدس، والتخنيون في حيفا، ومحطة الأبحاث الزراعية في رحوف ومعهد زيف، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات البحثية والمختبرات التي أقامتها حكومة الانتداب، والمؤسسات الصناعية التابعة للقطاع الخاص[١٤] . ويعتبر معهد وايزمن من أهم المعاهد الإسرائيلية حيث تأسس عام ١٩٣٧م وكان يستخدمها الهاغاناة خلال فترة الانتداب البريطاني، ثم اخذ التقدم العلمي والتكنولوجي يتقدم في(إسرائيل) عندما أسست ثلاث جامعات: في تل ابيب والنقب وحيفا إلى جانب المعاهد ومحطات التجارب ومراكز تطوير البحوث العلمية[١٥].

وبعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين والإعلان عن قيام (الكيان الإسرائيلي) عام ١٩٤٨ بقي التعليم مهما وبيد المسؤولين الإسرائيليين الذين قاموا بإنشاء وزارة المعارف والثقافة سنة ١٩٤٩، وبذا انتقلت مسؤولية التعليم إليها. وقد واجهت هذه الوزارة مشاكل كان من أبرزها مشكلة الاتجاهات التعليمية ومشكلة تزايد أعداد المهاجرين إلا أن الوزارة استطاعت مواجهة هذه المشكلة خاصة بعد ظهور مشكلة أخرى تعتبر اكثر أهمية وهي الاهتمام بشؤون الأمن والدفاع مما

أدى إلى قيام الحكومة الإسرائيلية بإصدار قانونين يعتبران ركيزة نظام التعليم في (إسرائيل) وهو قانون التعليم الإلزامي وقانون التعليم الرسمي ١٩٥٣[١٦].

والتعليم الإسرائيلي نوعان : التعليم الرسمي وهو الذي تقدمه الحكومة وفقا للمناهج الموضوعية ودون أي ارتباط بحزب أو هيئة أو منظمة خارج النطاق الرسمي، ويقوم وزير التعليم بالإشراف عليه. أما النوع الثاني فهو التعليم الرسمي الديني، وهو تعليم حكومي ولكنه يختلف في أن معاهده التعليمية الدينية لها خصوصيتها وتختلف في أسلوب حياتها ومناهجها الدراسية ومعلميها ومفتشيها[١٧].

أهداف وبرامج التعليم الإسرائيلي بعد قيام [إسرائيل] عام ١٩٤٨

تتلخص أهداف السياسة التربوية الإسرائيلية بما يلي :

١. ترسيخ قيم الثقافة اليهودية.
٢. بناء دولة عصرية تملك أسباب القوة المادية والروحية.
٣. المحافظة على التراث اليهودي ،ونشره وتعميمه بين الناشئة اليهود في (إسرائيل) وتحويل (إسرائيل) لتصبح مركز اتصال بين يهود العالم[١٨].

وهذه الأهداف التربوية الإسرائيلية استمدت من ثلاثة مصادر هي :-

١. الدين اليهودي.
٢. الحضارة الغربية.
٣. الحركة الصهيونية[١٩].

فهدف التعليم في (إسرائيل) هو تكوين مجتمع موحد كيفما كانت وسيلة التوحيد،على أن يكون لهذا المجتمع تراثه التاريخي ودين منتشر في أرجاء الأرض،وبناء دولة تستمد ثقافتها،ليس من العلم وحده،وإنما من هذا التراث والدين[٢٠].

أما عن برامج التعليم الصهيوني فهي عبارة عن مناهج تتصل اتصالا مباشرا بشخصية الطالب فهناك المدرسة التي تحقق الأهداف الصهيونية في داخل أسوارها. ففيها يتم بناء الشباب الإسرائيلي وتنشئته على أهداف (الكيان

الإسرائيلي) ،ويتم أعداده أيضا لمرحلة القتال من اجل تحقيق الأهداف وتلقين المعلومات وخلق الثقافة والطموحات في نفوسهم[٢١] .

بدأ الأشراف الحكومي على التعليم الإسرائيلي منذ عام ١٩٥١م بصدور قانون التعليم الرسمي الذي وضع موضع التنفيذ في هذا العام . وقبل ذلك كان نظام التعليم اليهودي في فلسطين يعرف بثلاثة اتجاهات : الاتجاه الديني، والاتجاه العمالي الاشتراكي، والاتجاه العام[٢٢]. وقد طال القانون المدارس غير الرسمية ونص على أن تخضع للوزارة في أمرين : الأول، مؤهلات المدرسين بحيث تكون كمؤهلات معلمي الحكومة، والثاني ،أن تكون لغة التدريس هي اللغة العبرية، وهكذا فان نظام الاتجاهات اصبح يخضع لسلطة الحكومة، الممثلة بوزارة المعارف والثقافة[٢٣].

أما التربية والتثقيف خارج المؤسسات التربوية فتكون من خلال :

١ - نوادي الأطفال :

يتضمن هذا البرنامج الألعاب والأناشيد وأعداد الواجبات المدرسية للأطفال المهاجرين الجدد فهي تغرس في نفوس الأطفال وبشكل غير مباشر من خلال الألعاب والأغاني عادات جديدة في الكلام والسلوك والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية، وهناك نواد تتعلق بالنشاط غير المنهجي فيقسم التلاميذ إلى لجان،وهذه اللجان تساهم مع الإدارة والمعلمين في تنظيم برامج النادي[٢٤].

٢ - حركات الشبيبة :

ومهمة هذه المؤسسات التربوية تربية النشئ الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ - ١٨ سنة، وهذه المؤسسات مكملة للمدرسة. وتركز حركات الشبيبة هذه على الجوانب الثقافية المتعلقة بالتاريخ اليهودي والأدب العبري وجغرافية فلسطين،والعقيدة الصهيونية،والشخصيات الصهيونية والقضايا الاقتصادية والتجارية. وتعقد هذه البرنامج في مخيمات الشبيبة التي تستمر عادة من نصف يوم إلى شهر، وتضم المخيمات بين ٨٠ - ١٠٠٠ مشترك . ويقام في المخيمات أنشطة متنوعة كشفية وثقافية،وقد أخذت بعض المخيمات بأسلوب جديد بحيث

يدور النشاط فيها حول فكرة رئيسة ، نابعة من الفكر التوراتي اليهودي مثال ذلك انهم يتخيلون بان المخيم هو قصر سليمان وانهم يعيشون في ذلك القصر كما وصفته التوراه، فيكون المخيم إذ ذاك مستوحى من ذلك التصور، على أن تكون الشعارات من حكم سليمان وأمثاله، ويطلب من الجميع الاشتراك في العمل داخل المخيم فيقومون بأعداد الديكورات والمسرح وكتابة الأناشيد وأعداد المواكب[٢٥].

٣ - الجدناع :

وهي منظمة شبه عسكرية أنشأتها الهاجاناه قبل عام ١٩٤٨م لتساعدها في القيام بالأعمال المدنية وشبه العسكرية وبعض عمليات القتال،ثم أصبحت فيما بعد منظمة شبه رسمية مرتبطة برئاسة الأركان وذلك عام ١٩٥٤[٢٦].

وكانت هذه المنظمة تكرس جزءا من اهتمامها وتوجهه إلى الشباب المهاجرين فقد كانت تشرف على النوادي في مستوطنات المهاجرين . ويعتبر الاشتراك في برنامج الجدناع إجباريا بالنسبة لطلاب المرحلة الثانية الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ - ١٨ سنة. وتشكل برامج الجدناع جزءا من المنهاج التعليمي، وهناك وحدة جدناع في كل مدرسة تشرف على تنفيذ هذه البرامج التي تتضمن عادة التمارين الرياضية والمخيمات والرحلات لزيارة الأماكن الأثرية. وتشمل كذلك التدريب على الإسعافات الأولية والتدريب على السلاح العسكري،ويطلب من تلاميذ الصف التاسع والعاشر والحادي عشر المشاركة في التمرينات ساعتين أسبوعيا لمدة شهر كامل،والاشتراك في مخيم سنوي يتراوح مدته بين ٤٠ - ٥٠ يوما. والاشتراك في مسيرة سنوية لمدة أربعة إلى خمسة أيام تعتبر جزءا من الاحتفالات بعيد الاستقلال، ويقضي طلاب الصف العاشر أحد عشر يوما سنويا في تدريب مكثف في إحدى القواعد البحرية أو الجوية أو البرية[٢٧]. وينتهي دور الجدناع عندما يصل الشباب سن الخدمة الإلزامية، فهي بالنسبة للذكور من سن الثامنة إلى التاسعة والعشرين أما النساء فهي من سن الثامنة عشرة إلى السادسة والعشرين.

فالمؤسسة العسكرية هي المؤسسة الوحيدة في (إسرائيل) التي يمكنها أن تصل إلى جميع البالغين الشبان، أما عن سنوات الخدمة فهي للذكور من ٥ - ٦ أعوام وسنتين وشهرين للنساء [٢٨].

اثر الجيش(الإسرائيلي)في التعليم ، وكيف يتم ذلك ؟

يقوم الجيش بدور كبير في عملية التعليم فهو يقوم بتعليم اللغة العبرية للمهاجرين الجدد ويعمل على رفع مستوى التعليم للضباط والجنود عن طريق مدارس خاصة للضباط، ويقوم أيضا بالإشراف على التعليم في المناطق النائية،حتى أن هذا الجيش قاد حملة لمحو الأمية في عام ١٩٥٥ [٢٩].

وتكون مهمة التعليم في الجيش من خلال المدة التي يقضيها المكلف في الجيش الذي يعمل على رفع مستواه التعليمي وخلق ثقافة وطنية وغرس القيم الصهيونية في نفسه إلى جانب الكفاءة القتالية للجنود[٣٠]. وقد اهتم الجيش الإسرائيلي بعناصر الشبيبة فبجانب ما يتلقاه الشبيبة في المدارس والدورات العسكرية، نجد أن الجيش يسيطر بمفرده أو بصورة مشتركة على كثير من المنظمات التي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الإسرائيلية .ومن أهم هذه المنظمات التي يتولى الجيش إدارتها بالاشتراك مع وزارة المعارف والثقافة منظمة " الجدناع والناصال"[٣١].فمنظمة الناصال تأسست عام ١٩٤٨ واهم أهدافها تدريب عناصرها على القيام بمهام الزراعة بجانب واجب الدفاع عن المستعمرات، وتعريف الجندي بجغرافية فلسطين وتاريخ اليهود واستخدام الأساليب العسكرية الحديثة وذلك من خلال دورات عسكرية تنظيمية[٣٢].

ويقوم جيش الدفاع الإسرائيلي بإعطاء مساقات متنوعة في التدريب والتعليم والثقافة وهذه المساقات تتفاوت طبقا لمستوى تحصيل الفرد التعليمي، فهناك مساقات ابتدائية في موضوعات القراءة والكتابة والأدب والحساب والتاريخ اليهودي والتوراة والتربية الوطنية[٣٣].

أما الجنود الذين تقل ثقافتهم عن الصف الثامن فهؤلاء يحضرون مساقا دراسيا ابتدائيا في مدرسة ماركوس العسكرية في حيفا،وبعد ذلك يتابع الفرد منهم دراسته في الوحدات العسكرية حتى يصل إلى مستوى طالب المرحلة الابتدائية[٣٤].

وهناك صفوف بمستوى الدراسة الثانوية يقوم بتنظيمها والأشراف عليها قسم الثقافة في الجيش، إذ يتم عقد دورتين دراسيتين مركزتين لضباط الجيش النظاميين الذين لم يكملوا دراستهم الثانوية: دورة تستمر لمدة ثلاثة اشهر وتؤدي إلى امتحان أولي، والثانية تستمر لمدة سنة حيث ينقطع الضباط المشتركون فيها كليا للدراسات ويتقدمون لامتحان مشترك[٣٥].

ويقوم الجيش كذلك بتنظيم صفوف مسائية للجنود النظاميين وهي متواجدة في كل من تل ابيب وحيفا،وفي المدن والمستوطنات القريبة من ثكنات الجنود حيث تقدم هذه المدارس المسائية دروسا في التوراة واللغة الفرنسية والفيزياء[٣٦]. ويعقد جيش الدفاع الإسرائيلي دورات في الثقافة العامة لضباط الجيش الكبار، حيث يلقي فيها محاضرون جامعيون مختصون محاضرات متنوعة تتناول شتى الموضوعات السياسية والاجتماعية.

أضف إلى ذلك البرامج الإعلامية التثقيفية التي تصدر من راديو الجيش وصحيفة الجيش " بيما حاتية" والنشرات والمحاضرات التي يلقيها مدربون من خارج الجيش[٣٧]. كل ذلك يساهم في عملية تقوية الروح الوطنية عند الإسرائيلي .

فمن هنا يتبين لنا أهمية الدور الذي يلعبه جيش الدفاع الإسرائيلي التعليمي والتربوي في إعداد جنود وضباط متعلمين ومثقفين ومتدربين، يؤمنون بأهداف الصهيونية وأفكارها.

وهناك المؤسسات التربوية الإسرائيلية الأخرى المتمثلة (بالكنيس) الذي كان يلعب دورا هاما في الحياة الإسرائيلية. وذلك من خلال المواعظ الدينية والاحتفالات الدينية التي ينظمها، وحركات الشبيبة والكيبوتسات التي تشرف عليها الكنس. وتشرف الكنس كذلك على المدارس الدينية داخل مستوطنات المهاجرين[٣٨]. فالتربية الدينية لها اثر واضح على عقلية الجيل اليهودي والطلاب اليهود، وهذا ما

بينته الكتب المدرسية اليهودية من خلال البحث الذي قدمه الباحث الأمريكي جورج تامرين حول قيم الأطفال في المدرسة الإسرائيلية[٣٩]. والمتمثل بفقرة من سفر يشوع الذي جاء فيها :" فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافا عظيما، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة. وحرموا كل ما في المدنية من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. واحرقوا المدنية بالنار مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب. وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلا ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا"[٤٠] . وطلب الباحث الإجابة عن السؤالين التاليين:

- هل تعتقد أن يشوع بن نون والإسرائيليين تصرفوا تصرفا صحيحا أم خاطئا؟
- لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية، فهل ترى أن يتصرف كما تصرف يشوع، مع شعب أريحا؟

فكانت نسبة من أجابوا بنعم على السؤال الأول ٦٦ - ٩٥% وكانت حسب المدرسة أو المستوطنة أو المدينة.

وهاهو نموذج من هذه الإجابات حسب ما كتبه أحد التلاميذ(كان تصرف يشوع حسنا لأنه ليس من المرغوب فيه أن يكون في إسرائيل عنصر غريب، أن الناس من مختلف الأديان يمكن أن يؤثروا تأثيرا، لا حاجة له).

أما السؤال الثاني فقد أجاب ٣٠% من التلاميذ بنعم و ٤٠% ب " لا "، و ٣٠% ترددوا ومن نماذج الإجابة على هذا السؤال (اعتقد أن ذلك ضروري لأننا نريد قهر أعدائنا وتوسيع حدودنا).

صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية اليهودية:

يعتبر اليهود العرب متخلفين عن العصر الحاضر ويتهمون الأقطار العربية بالتمزق الطائفي فهم يصفون الإنسان العربي في ابشع الصور من حيث الجهل والبداوة والبطش، والعنصرية ومن هذه الصور :[٤١]

" المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة في العالم التي لم تتوقف فيها تجارة الرقيق حتى يومنا هذا، وفي أسواقها يباع الناس كالبهائم". وفي كتبهم يصور أيضا الهجوم على الدين الإسلامي وخاصة في سيرة الرسول (ص) فيقولون عنه: " انه الغارق في أحلام اليقظة، والمحارب ، ومبتدع الدين الجديد،وانه أحد أبناء قبيلة قريش الغنية ذات الجاه"[٤٢]. ويصورون أيضا النبي محمد في كتبهم من خلال هذا النص:

" ولكي يجتذب محمد اليهود إليه أمر اتباعه بان يتوجهوا في صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة، وان يصوموا يوم الغفران، ولكن بمرور الوقت، وعندما جوبه بالسخرية من قبل اليهود ، وبعد أن أدرك انهم يبتعدون عنه، غير موقفه اتجاههم واخذ يقسو عليهم. فألغى صوم يوم الغفران، وحدد صوما آخر يستمر شهرا كما حول القبلة من القدس إلى مكة".

هذا عن الأديان السماوية، أما عن التاريخ الإسلامي ففي أحد كتب التاريخ يصف المؤلف الخليفة العباسي المأمون قائلا:" أن الخليفة العباسي المأمون ساعد على تقسيم اليهود وظهور الطوائف المتناقضة ويؤكدون أيضا أن " سلالة بني أمية التي مركزها دمشق تصرفت بشكل سيء تجاه اليهود والمسيحية معا". وأما الطوائف اليهودية فقد ازدهرت في مؤاب وادوم ومديان" [٤٣]. وهكذا فان الكتب الدراسية سواء الدينية أو التاريخية أو الجغرافية تشوه الإسلام والعرب وهذا ما نراه في كتب الجغرافيا فيذكرون :" أن اغلب سكان العرب هم فلاحون فقراء ورعاة رحل" أما تذكره كتبهم عن الحج فهو كما يلي:

" الحجاج يسافرون في البواخر إلى جدة ويطير الأغنياء بالطائرات. وأما الأتقياء فما زالوا يركبون الجمال من مدينة الساحل إلى البلدة المقدسة كما فعل آباؤهم إبقاء منهم على العادات القديمة المقدسة"[٤٤].

أما كتب الأطفال الإسرائيلية فتبين أن العربي ذو شخصية جامدة، له انف ضيق ويلبس الملابس القديمة الملونة من السروال والكوفية والعباءة، وهو لا يعرف الملابس العصرية، وان حياته فوضوية من كسل وسرقة ونهب واحتيال.

التعليم الجامعي في[إسرائيل]

١ - التعليم الجامعي قبل قيام [الكيان الإسرائيلي]

كانت فكرة إنشاء جامعة يهودية في فلسطين قديمة تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر، فقد بحثت الفكرة في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م.وتألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة (حاييم وايزمن) الزعيم الصهيوني المعروف ، فتقدم حاييم بعريضة إلى السلطان العثماني في اسطنبول يطلب منه الموافقة على تأسيس الجامعة اليهودية على ارض فلسطين العربية، ولكن السلطان العثماني رفض طلبه. إلا أن الحركة الصهيونية ظلت تسعى لتحقيق ذلك من خلال وسائلها المتعددة والمختلفة، وبقيت الفكرة حية متجددة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الذي عقد في جنيف بسويسرا عام ١٩١٣م،فأقر المؤتمرون الفكرة وشكلوا لجنة لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإبرازها إلى حيز الوجود. وأخيرا تم وضع حجر الأساس للجامعة العبرية على جبل المكبر في مدينة القدس عام ١٩١٨م [٤٥]. بعد انهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وبعد معاهدة سايكس - بيكو عام ١٩١٦، ووعد بلفور ١٩١٧م، فقد ساعدت بريطانيا الحركة الصهيونية على تنفيذ فكرتهم هذه على الأرض العربية الفلسطينية.

ولم تكتف الصهيونية بهذه الجامعة، فقد عمدت الحركة الصهيونية إلى تأسيس معهد تكنولوجي عال في فلسطين عام ١٩٢٥م، ومعهد آخر للهندسة التطبيقية التي تعرف باسم (التقنيون) ، وفي عام ١٩٣٤م تم إنشاء معهد

(دانييل زيف) للبحوث [٤٦]. وهكذا وضعت الصهيونية اللبنة الأولى في الدراسات العليا على ارض فلسطين خدمة لليهود والمهاجرين على حد سواء كي يواكبوا التطور التكنولوجي والعلوم المتقدمة.

٢ - التعليم الجامعي بعد قيام[الكيان الإسرائيلي] عام ١٩٤٨م

تطور التعليم العالي في(إسرائيل) بعد قيام (الكيان الإسرائيلي) على ارض فلسطين العربية، وذلك نتيجة طبيعية للزيادة الكبيرة لعدد السكان اليهود بعد فتح باب الهجرة اليهودية من أنحاء مختلفة من العالم، وأصبحت الحاجة ملحة إلى الكفاءات العلمية العالية المدربة، نتيجة لحاجة الكيان لمثل هذه الكفاءات. لذا قام (الكيان الإسرائيلي) بإنشاء الجامعات والمعاهد العليا في فلسطين المحتلة،لتكون قادرة على تخريج اكبر عدد من الطلاب اليهود. ففي سنة ١٩٥٤م تم تأسيس جامعة تل ابيب، وفي سنة ١٩٥٥م تم تأسيس جامعة بارايلان ، وفي سنة ١٩٦٤م أنشئت جامعة حيفا، أما معهد الدراسات العليا في النقب فقد أسس عام ١٩٦٦م [٤٧].

وقد كانت هذه الجامعات تدرس حتى مرحلة البكالوريوس، إلا إنها أخذت فيما بعد وضع برامج للدراسات العليا، فأصبحت تمنح درجتي الماجستير والدكتوراه في كل التخصصات. هذا بالإضافة إلى عشرات مراكز البحث العلمي التي أنشئت في (إسرائيل) والتي كان لها دورها في تقدم العلوم والتكنولوجيا في (الكيان الإسرائيلي). كما خصصت الأموال الطائلة من اجل البحث العلمي خدمة للصناعات المتقدمة في فلسطين المحتلة، وخدمة للبحوث الزراعية والطبية، أضف إلى ذلك تقدمها في مجال بحوث الذرة وإنشاء المفاعل النووي في ديمونه مما جعل إسرائيل عضوا في نادي العلوم الذرية على المستوى العالمي.

وبتقدم السنوات على قيام (الكيان الإسرائيلي) ازداد عدد الطلبة الذين يرغبون الالتحاق في الجامعات العبرية ، فكان على هذا الكيان توزيع هؤلاء الطلاب على الجامعات التي اصبح عددها ثماني جامعات ، منها خمس جامعات رسمية[٤٨] ، وهذه الجامعات هي :

١ - الجامعة العبرية:

أنشئت الجامعة العبرية كما أسلفنا بجهود ومتابعة من المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بال بسويسرا، وقد أقيمت هذه الجامعة على جبل المكبر المطل على مدينة القدس العربية. وكانت في بدايتها الأولى مركزا للأبحاث ،ثم تحولت تدريجيا إلى معهد عملي للتدريس، فأسست الكليات المختلفة فيها وكان أولها كليتان هما كلية العلوم ، وكلية العلوم الإنسانية[٤٩]. ثم اتسعت وزيدت ابنيها وضمت معاهد وكليات أخرى، وازداد عدد طلابها بسب زيادة عدد المهاجرين إلى فلسطين العربية. ومن الكليات التي تضمها هذه الجامعة، كلية الحقوق،وكلية الزراعة،وكلية الطب[٥٠]،بالإضافة إلى المعاهد المختلفة نذكر معهد الدراسات الأسيوية والأفريقية، هذا بالإضافة إلى كلية العلوم الاجتماعية، والاهتمام الخاص بالدراسات التاريخية وخصوصا التاريخ الإسلامي.

٢ – جامعة تل ابيب

قامت بلدية تل ابيب بتأسيس هذه الجامعة عام ١٩٥٤م وذلك بسبب الإقبال على التعليم الجامعي في(إسرائيل)، وتخفيفا للضغط على الجامعة العبرية في القدس[٥١]. وتوسعت هذه الجامعة حتى أصبحت تضم عددا من الكليات بتخصصات مختلفة نذكر منها: كلية العلوم الإنسانية ، كلية العلوم، كلية الطب،كلية العلوم الاجتماعية، كلية الحقوق. بالإضافة إلى إنشاء عدد من المعاهد فيها مثل : معهد دونولو لحفظ الصحة الفسيولوجي، ومعهد الوراثة عند الإنسان، ومعهد الأبحاث الصهيوني، وأكاديمية (إسرائيل) للموسيقى[٥٢].

٣-جامعة بار إيلان

وقد تأسست هذه الجامعة عام ١٩٥٥م، وهي عبارة عن مؤسسة دينية أنشأتها المنظمة اليهودية العالمية، ومن أهداف هذه الجامعة تنشئة وتعهد العلماء المثقفين، ورجال العلم المتبحرين في المسائل الدينية المتعلقة بالعقيدة اليهودية[٥٣] . هذا بالإضافة إلى الدراسات الأخرى العلمية والإنسانية ، ومن أهم كلياتها: كلية الدراسات الإنسانية، وكلية العلوم الاجتماعية، وكلية العلوم. وقد اتبعت هذه

الجامعة نظام الساعات المعتمدة المتبع في الجامعات الأمريكية، وذلك كي تتيح الفرصة للطلاب اليهود الأمريكيين والكنديين إتمام دراساتهم في(إسرائيل)[٥٤] .

٤ – جامعة حيفا .

وافتتحت هذه الجامعة رسميا عام ١٩٦٤م، وتتألف من كليتين: كلية الدراسات الإنسانية ، وكلية العلوم الاجتماعية. وتقدم هذه الجامعة دراسات مسائية في القانون والاقتصاد، وتتبع هذه الجامعة من الناحية العلمية الجامعة العبرية في القدس، وعلى طلاب الكليتين النهاريتين دراسة سنتهم الرابعة في الجامعة العبرية كي يحصلوا على درجة البكالوريوس في تخصصاتهم التي درسوها[٥٥].

٥ – معهد الهندسة التطبيقية في حيفا (التخنيون).

هذا المعهد هو جامعة هندسية افتتحت عام ١٩٢٥م، وقد نالت هذه الجامعة دعما خاصا من (الكيان الإسرائيلي) باعتبارها إحدى الدعائم الرئيسة في تطوير الحياة العلمية والصناعية والاقتصادية في (إسرائيل) [٥٦].وذلك من خلال تخريج أفواج من المهندسين التطبيقيين في جميع التخصصات والتقنيات الحديثة، فهي تركز في مناهجها على الجوانب العملية بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى الجانب النظري ويضم هذا المعهد الكليات التالية : كلية الهندسة المعمارية، وكلية فن البناء، وكلية الهندسة الميكانيكية ، وكلية الهندسة الإلكترونية، وكلية الهندسة الكيماوية، وكلية الزراعة، وكلية هندسة الطيران، وكلية العلوم، فهذا المعهد كما نرى هو جامعة تكنولوجية تواكب التطور العلمي والتقني وتنقله إلى (إسرائيل) .

ويرتبط بهذا المعهد الثانوية الصناعية الموجودة في مدينة حيفا، ويمنح معهد الهندسة التطبيقية هذا درجة البكالوريوس في التخصصات الهندسية والعلمية المختلفة، بالإضافة إلى درجتي الماجستير والدكتوراه[٥٧]، فهو معهد بل جامعة متقدمة لها دورها الهام في التطوير والتحديث والتنمية داخل (الكيان الإسرائيلي).

نظام القبول والدراسة في الجامعات الإسرائيلية :

يتلخص نظام القبول في الجامعات العبرية بان على الطالب أن ينهي الدراسة الثانوية، ثم يقوم بأداء الخدمة العسكرية الإجبارية، وبعد ذلك عليه أن

يتقدم إلى امتحان (البجروت) أو المترك، فإذا اجتاز هذا الامتحان عندئذ يقبل في الجامعة. أما بالنسبة للطلاب الذين لم يحصلوا على شهادة البجروت أو المترك، وهم عادة من طلاب المدارس الثانوية الزراعية والمهنية، فيمكن قبولهم في كلية الزراعة بالنسبة لطلاب الثانوية الزراعية، أما طلاب المدارس المهنية فيمكن قبولهم في (التخنيون) أي معهد الهندسة التطبيقية، شريطة أن يجتاز الطلاب في الحاليتين امتحان القبول المصمم لهذا الغرض[٥٨].

أما نظام الدراسة في الجامعات الإسرائيلية فيتبع أسلوب التدريس بطريقة المحاضرات والندوات، مع الاهتمام الخاص بالبحوث العلمية في مختلف التخصصات علمية واجتماعية وإنسانية وتكنولوجية . وقد أولت (إسرائيل) اهتماما خاصا بالبحث العلمي وتشجيعه، فأنشأت المراكز العديدة لنشر البحوث العلمية المختلفة. ففي سنة ١٩٦٧م، تم فتح مكتب المعلومات العلمية والتكنولوجية الذي قام بنشر العديد من الأبحاث[٥٩] . ومما تجدر ملاحظته أن العملية التعليمية والدراسية في الجامعة العبرية ومعهد وايزمن عندما أنشئا، كانت تتم عن طريق البحث، وليس عن طريق التدريس أو التلقين، فالطالب يعطى المنهاج ويقوم الأستاذ بتوجيهه ومن ثم تكون مهمة الطالب البحث والتنقيب والتجربة وصولا إلى النتائج المرجوة، وهذه من احدث الطرائق المتبعة في التعليم العالي في العالم المتقدم.

وتطالب بعض الكليات مثل : الزراعة والطب والصيدلة ، أن يمضي الطالب سنة واحدة في التدريب كشرط للحصول على درجة البكالوريوس ، أما كلية العلوم التربوية ، فتطلب تطبيقات عملية كشرط أساسي للحصول على درجة الدبلوم في التربية [٦٠].

أما مدة الدراسة في الجامعات العبرية فهي ثلاثة فصول، مدة كل فصل عشرة أسابيع، بعكس الجامعة العبرية وجامعة تل ابيب ، فمدة الدراسة فيهما فصلان دراسيان، وعلى الطالب أن يقدم امتحانين في كل مساق أو مادة، الامتحان الأول يقدمه في منتصف الفصل والثاني يقدمه الطالب في نهاية الفصل الدراسي[٦١].

وتمنح الجامعات الإسرائيلية درجتي الماجستير والدكتوراه ، فالكليات الإنسانية والاجتماعية والعلوم، تمنح درجة الماجستير بعد سنتين دراسيتين بعد أن يقدم الطالب أطروحة في مجال تخصصه، وتناقش هذه الأطروحة من لجنة من الأساتذة تشكل لهذه الغاية. أما طلاب الحقوق والهندسة والزراعة فيمكن للطالب الحصول على درجة الماجستير بعد سنة دراسية واحدة، شريطة أن يقدم أطروحة في مجال التخصص[٦٢]. أما درجة الدكتوراه فتمنح في جميع التخصصات في الجامعات الإسرائيلية ، وليس لها زمن محدد، وإنما تختلف من موضوع لآخر ومن طالب لآخر، وعلى طالب الدكتوراه أن يقضي معظم وقته في البحث والتنقيب[٦٣]، وبعد أن ينهي بحثه عليه التقدم بأطروحته للمناقشة بعد أن يجيزها الأستاذ المشرف أو اللجنة التي تقيم هذا العمل العلمي. فالهدف من هذه الدرجة المتقدمة ، هو أعداد أجيال من العلماء والباحثين المتميزين في جميع التخصصات والمجالات، فالإبداع والتميز عنصران هامان في الدراسات العليا، لخلق أجيال من العلماء والباحثين، من اجل البناء والتقدم والتطور والتنمية في كل المجالات.

ويجب على جميع طلاب الكليات الجامعية في (إسرائيل) الانتظام في الدراسة، ولا يقبل الانتساب، ولكن هناك تسهيلات تقوم بها الجامعات للراغبين في التحصيل العلمي ولا تسمح ظروفهم الانتظام نهارا، وذلك عن طريق الدراسات المسائية التي أقيمت في بعض الجامعات الإسرائيلية. وخدمة لهذا القطاع من الراغبين في التعليم العالي، أقيمت في(إسرائيل) جامعة حرة،كي تلبي حاجاتهم ولتوفير فرص أخرى لأولئك الأشخاص الذين لم تتح لهم ظروفهم الاجتماعية الانخراط في الدراسة الجامعية[٦٤].

وهكذا فان الجامعات الإسرائيلية استطاعت في فترة زمنية قصيرة أن تواكب الأساليب العلمية المتقدمة والمتطورة المتبعة في العالم الغربي، فطورت جامعاتها ووضعت لها الأهداف والفلسفة التي تخدم الأغراض التي أنشئت من اجلها وهو خدمة الدولة والمجتمع. لذا فان التعليم في تلك الجامعات يقوم على أساس البحث والتقدم العلمي، وقد أدى ذلك إلى ازدياد عدد مراكز البحوث العلمية

داخل (إسرائيل)، ورصدت الأموال الطائلة خدمة للبحث العلمي.فكانت هناك الاختراعات والابتكارات والإبداعات في كل المجالات العلمية والإنسانية والاجتماعية والتقنية . فأصبحت هذه الجامعات عناصر هامة في تغيير وتطوير المجتمع الإسرائيلي وتقدمه صناعيا وعلميا، فزاد ذلك من دخل الدولة والفرد معا. وهذا بعكس مهمة الجامعات في الوطن العربي التي أصبحت مهمتها الأولى تخريج أفواج من الجامعيين العاطلين عن العمل، مما شكل عبئا ثقيلا على الدول العربية وعلى مجتمعاتها[٦٥].بالإضافة إلى الأسلوب التقليدي المتبع في التعليم بالجامعات العربية، مع شح في الأموال التي ترصد للبحث العلمي في الوطن العربي.

خلاصة :

وضعت الحركة الصهيونية استراتيجية واضحة للتعليم في فلسطين المحتلة قبل قيام (الكيان الإسرائيلي) وبعده، وجعلت للتعليم أهدافا متصلة بأهداف الحركة الصهيونية التي كانت تعمل جاهدة من اجل إيجاد وخلق وطن قومي لليهود في فلسطين، ومواطن يهودي يؤمن بهذا الوطن ويدافع عنه.

ومن هنا فقد ساهم التعليم في قيام (الكيان الإسرائيلي) على ارض فلسطين العربية، كما عمل التعليم على خلق هذا الكيان وتطوره وتقدمه، وعمل على ترسيخ قواعد هذا الكيان، وذلك من خلال تبنيه لأهداف الحركة الصهيونية ، وعمله على ملاءمته مع أهداف التعليم الإسرائيلي

هذا بالإضافة إلى الدور الذي قام به المجتمع اليهودي في فلسطين المحتلة، الذي كان مرتبطا بأهداف الحركة الصهيونية من جهة، وبأهداف التعليم من جهة ثانية. وذلك من خلال المنظمات التعليمية الاجتماعية ، وأهمها (الكيبوتس) ، ومنظمة (الناصال) اللتان ترتبطان بالأرض وبالكيان. ولا ننسى الدور الهام الذي قام به الجيش الإسرائيلي ، ومساهمته الفاعلة في خلق االكيان، فقد قام الجيش بدور تعليمي هام لدى أفراده وبذر في نفوس الشباب اليهودي أهداف

الحركة الصهيونية المتعلقة بقيام الكيان وتوسعها وان حدود (إسرائيل) تمتد من النيل إلى الفرات ، وان ارض فلسطين هي ارض الميعاد وارض الأجداد ، وان العرب الفلسطينيين هم دخلاء على هذه الأرض ، بالإضافة إلى شحنهم بكره العرب وعداوتهم. ولا ننسى ما قامت به (الدياسبورا) في الدول الأجنبية والتي كان يتعلم فيها أطفال اليهود في تلك الدول، فقد كانوا يغرسون في عقول هؤلاء الأطفال مقولة بان الحياة في غير فلسطين حياة لا قيمة لها وان الحياة الحقيقية هي على ارض الميعاد ، وهم بهذا يرغبونهم في الهجرة إليها وبذا تتحقق أهداف الحركة الصهيونية في إقامة وطن قومي لهم على الأرض الفلسطينية.

ولا ننسى ما قامت به المدارس اليهودية في المجتمعات اليهودية المتواجدة في الولايات المتحدة الأمريكية وإيران والأرجنتين ، بالإضافة إلى حركات الشبيبة التي تقوم على إبراز أنشطتها من خلال مخيمات الشبيبة التي تقام فيها المحاضرات والندوات المتعلقة بالتاريخ اليهودي والثقافة اليهودية، وتكريس أهداف الصهيونية في إقامة الدولة اليهودية .

ثم هناك المناهج والمواد التعليمية التي تدرس في المدارس اليهودية، وتعتبر هذه المواد إجبارية على الطلاب ، وقد كان لهذه المواد الدراسية أثرها في نجاح فكرة قيام (إسرائيل) لدى جمهرة الشباب اليهودي. واهم هذه المواد تلك المتعلقة بالتوراة والتلمود، فمن خلال هذه المواد التعليمية الدينية يتعرف الطالب على ارض (إسرائيل) ،واهم قادته وأبنائه وأبطاله.كما أن المناهج الدراسية اليهودية أولت مادة التاريخ أهمية خاصة ، وجعلتها مادة أساسية في المنهاج الإسرائيلي الذي يشتمل على التاريخ اليهودي القديم ، التي تظهر بان لليهودي جذور تاريخية وثقافية قديمة في ارض فلسطين، كما تحاول أن تثبت بان تاريخ دولة (إسرائيل) في فلسطين تاريخ مستمر منذ اقدم العصور. وفي ذلك مغالطة تاريخية، فالمنهاج الإسرائيلي لمادة التاريخ يلغي الحقائق التاريخية، والوجود الكنعاني والعربي على ارض فلسطين لآلاف السنين بشكل مستمر حتى وقتنا الحاضر.